

كتاب

الدر المرصوف في تاريخ الشوف (تبع)

تأليف القس حنايا المنير من الرهبانية الشورية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس مركيس

من الرهبانية القروية

الامير جهجاه الحرفوش

وفي سنة ١٢٠٢ (١٧٨٧) حضر والياً على دمشق الآظن ابرهيم باشا . وبعد وصوله تقدمت اليه الشكايات على الامير جهجاه الحرفوش حاكم بلاد بعلبك انه عاصي الدولة ولا يدع احد يتولى بلاد بعلبك سواه وانه حارب الدولة مراراً وقتل كثيراً من رجالها . فغضب الآظن ابرهيم على الامير جهجاه وارسل الى الامير كنج ابن الامير محمد الحرفوش ان يكون والياً على تلك البلاد وامره ان يطرد عمه الامير جهجاه من هناك وامدّه بـ١٠٠٠٠ بـ١٠٠٠٠٠ من اصحابه . ولما بلغ الامير جهجاه ذلك امر اهل مدينة بعلبك وقراها ان يرحلوا . وتهدد بالقتل كل من يخالف امره . وكسر حجارة الرحي التي هناك . فرحلت جميع الناس . وتفض بشيرته الى قرية من مملكة بعلبك يقال لها ضبره . وحضر عسكر دمشق الى بعلبك فسار به الامير كنج الى ضبره وحاصر الامير جهجاه بها وضايقه وقطع عنه السبل وتضايق الامير جهجاه وكاد يغلب . وكان قد ارسل الى الامير يوسف الشهابي مستنجياً به . واستنجد الامير شديد مراد ايضاً . وبينما هو في ذلك الضيق اقبل عليه عسكر الامير يوسف فقوي عزمه وخرج الى قتال الامير كنج فقتل من عسكر الدولة نحو خمسين نفراً . وانهمروا .

ثورة المالك

وفي سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨) تبان لاجد باشا الجزائر خيانة بين سراريه مع البعض من مماليكه . فغزم على قتلهم وترقب الفرصة حتى صادف البعض من

الماليك في الدار فهجم عليهم . ولما ايقنوا بالهلاك وتبوا عليه فجرحوه وقامت الضجة في داره . فسمع باقي الماليك ونهضوا لاساف اصحابهم . وتمصبت لهم قواد الساكر لان الجميع كانوا قد ضجروا من ظلم الجزائر وكرهوا دولته . وخرجوا جمهوراً الى خارج البلد وخرج معهم سليم باشا . ولم يبق عند الجزائر الا نفر قليل . وشاع الخبر ان ماليك الجزائر قتلوه فمرت الناس بذلك واستبشرت وتمصبت الارط ضد الوزير وامالوا اليهم سليمان باشا واتفقوا على انهم يأخذون اولاً مدينة صور فيجلبونها حصناً ومنزلاً ثم يرجعون الى عكا . فراسلوا اهل صور على ذلك فلم يجيئهم خوفاً من غائلة الجزائر . نهض سليم باشا بالمسكرو وحاصر صور وضايقها ففتحها بالسيف وكان يوماً هائلاً على اهلها من كثرة القتل والسبي والنهب واعملوا السيف في عسكر الجزائر الذي كان بها فلم يسلم احد منه . وكان الجزائر قد ارسل عسكراً من المغاربة لاساف اهل صور وكان باقياً خارج البلد فرجع اليه سليم باشا . ولما رأته المغاربة ذلك هربت الى عكا وتبها سليم باشا بمن معه وتزلوا خارج عكا وارادوا ان يفتلوا بها كما فعلوا في صور فضاف اجترار من ذلك ولم يجد له سيلاً الا الفرار ففرم ان ينزل في البحر ويترك لهم المدينة . وكان يومئذ الشيخ محمد القاضي في عكا فاشار على الجزائر ان يتجهز للسفر ويعد له سفينة في الميناء حتى يتوسط الليل فيخرج من عنده من الرجال بالمدافع ويكبس الماليك وهم نيام فان ظفر بهم فهي الحاجة والا فالسفينة حاضرة . فاعجب الجزائر هذا الرأي وتأهب للسفر وارسل الرجال الذين عنده فكبسهم ليلاً وكان القوم نياماً فا انتهبوا الا والرجال قد احاطت بهم والهبتهم بالمدافع فاندعروا ولم يتعدوا على الثبات فانهمزوا وقتل منهم جماعة وتركوا اتقاهم وخيلهم وسلاحهم فطاب قلب الجزائر وكان قد قبض على جملة ماليك فقتلهم وقتل جميع السراي التي عنده واستخدم القوم محمد وعبد الرحمن الطوير وجماعتهما مكان الرجال الذين كانوا عنده ونشئت الماليك واحزابهم في كل مكان .

وفي هذه السنة تقدم الامير علي ابن الامير اسماعيل حاصيا الذي مات في سجن الامير يوسف فاستنثا بابرهم باشا والي دمشق وقدم له هدايا واموالا وسأله الاساف على الامير يوسف في رجوع ولاية حاصيا اليه ليطرد الامير

اسعد الذي كان اقامه الامير يوسف حاكماً . وقبل وصول السكر بلغ الامير يوسف ذلك فجهز عسكراً من البلاد وارسله الى وادي التيم . فلما سمع عسكر دمشق بقدم عسكر الجبل خشي وعاد راجعاً الى مكانه ولما رأى الآظن ابراهيم قوة الامير يوسف وشدة بأس قومه اراد مصادقته فكتب اليه كتاباً لطيفاً يتضمن المعاتبه له على محاماته عن الامير جهجاه الحزفوش وقتاله لسكر الدولة . فالطف له الامير يوسف في الجواب واعتذر . واخيراً صار الاتفاق برضى ابراهيم باشا ان يبقى الامير جهجاه حاكماً في بلاد بعلبك وان يبقى حاكم حاصيا في تصريف الامير يوسف . وكان الواسطة في ذلك الشيخ عباس التل حاكم الزبدان ودفن الامير جهجاه الى ابراهيم باشا خمسة عشر الف غرش وحضرت له خلفه الولاية وارسل الوزير قبض على الامير كنج وطاب منه سبعة الاف وخمسة غرش بدعواه انه صرفها على السكر الذي جهزه معه . ولم يكن عند الامير كنج مال . فوضعه في السجن . وكان وقت طلوع الحج . فخرج ابراهيم باشا مع الحجاج . وبلغ الامير جهجاه ذلك فارسل ورثى منسمة المدينة على قتله وطاب له حكم بلاد بعلبك الذي لا يليق لسواه .

وفي اواخر هذه السنة لما حضر الآظن ابراهيم باشا من الحج نهضت ضده اغوات الارط واکابر البلد وحراروه وقتلوا من عسكره مقدار ثلاثمائة نفر وطرده من دمشق الشام . فحضر واقام في مدينة حمص وعرض الى الباب العالي بما كان فاتاه الجواب بما يرضيه وحضر له تقرير ولاية دمشق .

وفي هذه السنة توفي الامير اسماعيل ابو اللع . وكان اكبر امراء المتن ورأس سمية بني قايدبيه . وكان صاحب سطوة ونباهة . وتخلف له ثلاثة اولاد وهم الامير حسن والامير عاف والامير حيدر . وفيها توفي الشيخ كليب نكد في دير القمر وكان رأس سمية المناصف واکبر اصدقاء الامير يوسف .

وبها صارت تلجة عظيمة اتصلت الى حدود سواحل البحر . وبها في اليوم الرابع والعشرين من شهر فوار انكسفت الشمس عند الظهر وذلك في هلال رمضان .

حكم الامير بشير الثاني ١٣٠٤ - ١٣٥٤ (١٧٨٩ - ١٨٤٠)

الحقبة الاولى^{١)}

وفي سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) لما حضر التقرير للأظن ابرهيم على ولاية دمشق الشام حضر ايضاً امر لاجد باشا الجزائر والامير يوسف في اسفاه على الدخول اليها والانتقام من العصاة الذين بها. وكان ابراهيم باشا قد انفذ الاوامر وتوجه الى دمشق فام يقبلوه ايضاً فكث في الخارج حتى وصل الاسفاه من الجزائر والامير يوسف. فنهض وحاصر المدينة مقدار عشرين يوماً وتقدم. واما الامير علي ابن الامير اسماعيل فلما فرغت يده من الأظن ابرهيم في توليته حاصيا التجي الى احمد باشا الجزائر فقبله وطيب قلبه وكتب الى الامير يوسف ان يعطيه حاصيا ومرجون. فأبى وغره الطمع وانتقاد الى رأي الشيخ غندور الحوري ونسي ما اصابه من جري ذلك. فغضب عليه الجزائر وغزم على خلعته من الولاية. ثم جهز عسكرياً وارسله مع الامير علي الى حاصيا فترح الامير اسعد الذي كان والياً عليها من قبل الامير يوسف وغزم الامير يوسف على مقاومة الجزائر فجمع عسكرياً من البلاد واستنجد الامير جبهجاه الحرفوش. فاجابه وجمع رجال بلاد بعلبك. ومضى عسكري الامير يوسف والامير جبهجاه على حاصيا. والتقت الساكر في وادي ابي عباد وكان ذلك في العشرين من تموز. وانتشبت الحرب بين العسكريين فاقتلوا قتالاً شديداً وهجم الامير جبهجاه على عسكري الدولة فاذاقهم الوبال. وجاهدت رجال البلاد فكسرت عسكري الدولة ورجع الى عكا منهزماً وقد قتل منه نحو مئتي نفر. فاشتد غضب الجزائر وجهز عسكرياً آخر وارسله الى البقاع واخذ يضبط اللال التي هناك يريد بذلك مضايقة اهل البلاد لكي يطلبوا الراحة لانفسهم بتركهم الامير يوسف. وارسل ففقد المشايخ بني جنبلاط. وهم اخذوا يفتدون اهل البلاد. فتاب الاكثرون. ولهجت الناس بتزليل الامير يوسف ولامره لمخالفته امر الجزائر طمعاً في مرجعيون التي وقتت كل تلك البلابل بسببها على غير احتياج اليها. ولما رأى الامير يوسف ان اكثر المناصب خانت عليه وان الجزائر قد صار خصماً له علم انه لا يقدر على الثبات فغزم على ترك الولاية من نفسه وجهز نساءه واولاده الى

(١) فتناز هذه الحقبة بقلة الاستقرار وبكثرة ارهاق الشعب بالضرائب.

المتن . وراست المناصب بعضها . واتفق الجمهور على تولية الامير بشير ابن
الامير قاسم وعرضوا بذلك الى احمد باشا الجزائر فاجاب واستدعى الامير بشير
اليه . فواجه الامير يوسف واتفق معه وعاهد الامير يوسف ان يخلي له دير القمر
ويترك في اواخر البلاد . وتمهد له الامير بشير انه لا يضره ولا يسي في با
يؤذيه . وحضر الامير بشير الى عكا برضى الامير يوسف واعطاه نفقة السفر .
ولما دخل على الجزائر رحب به والبسه خلة الولاية وجهز معه عسكرياً نحو الف
نفر اوصلوه الى دير القمر . فحضرت اليه المشايخ الجبلانية والهادية والنكديّة
واكثر مناصب البلاد . وكان الامير يوسف يومئذ قد حضر الى المتن . وكان
الشيخ محمد القاضي في عكا : وقد ذكرنا ان الامير يوسف كان قد حبس
الشيخ محمد في نوبة الامير اسماعيل وعذبه عذاباً شديداً حتى ان المغاربة الذين
كانوا يتولون عذابه كانوا يقطعون لحمه ويطمرونه منه . وكان بعد ان قطع
الامير يوسف لسانه صار يتكلم ولكن كلاماً ضعيفاً . ولما وجد سيلاً عليه
عند الجزائر قال له : يا مولاي ان الامير يوسف ما دام في البلاد لا يكون
فيها راحة ابداً . فان رأيت ان تأمر الامير بشير في طرده فتقطع آماله
وتتكسر عزائم اخزابه . وكان الجزائر معجباً برأي الشيخ محمد من وقت نوبة
المالِك قبل كلامه وارسل معه كتاباً الى الامير بشير ان يقوم لطرده الامير
يوسف فارسل الامير بشير الى الامير يوسف يعلمه بذلك . واثار عليه ان يتوجه
نحو جرد كسروان . فقام الى هناك وانتهى الى وطا الجزر . ونهض الامير
بشير من دير القمر وسعى في اثره امتثالاً لامر الوزير حتى وصل الى المتن فاعلم
الامير يوسف ان يقوم الى بلاد جليل . فقام الى قرية لحند ومن هناك الى
العاقورة . وما زال الامير بشير ساعياً في اثاره . ولمح الامير يوسف انه قد
اعتمد ذلك باطناً ونقض المهد الذي كان بينهما . ففرم على مقاومته ونبه على
رجال جبة بشري ورجال المشايخ الحمادية وارسلهم الى وادي الميخان حيث يعلم
ان الامير بشير يسلك اليه . وهو مكان عسر لا تسلك فيه الخيل الا على
طريق ضيق حرس . فاكثروا هناك حتى وصل عسكر الجزائر والامير بشير معه .
ولم له علم بهذه المكيدة . فخرجت عليهم الرجال والمهتتم بالرصاص فاندعرت
المغاربة والارناؤوط وانكسروا من وجه القوم . وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وتفرست رجال الامير يوسف . وكاد ان ينكسر كل عساكر الامير بشير .
فانتخى الامير بشير حينئذ وورد سيفه وحمل قدام السكر ودعاه الى القتال .
فتبته الرجال وصدموا عسكر الامير يوسف فكسروه وهرب الامير يوسف
الى الحية . ومن هناك الى طاريا . ثم الى بلاد بعلبك . ثم الى الزيدان . ثم
الى منين في نواحي دمشق . ثم الى بلاد حوران . ورجع اكثر اصحابه .
وقتل في تلك التوبة الشيخ ابو ديعس جنبلط .

موقعة بعلبك

وفي هذه السنة انجد للامير بشير ولد وسماه الامير قاسم باسم جده .
وفي هذه السنة حدث فتنة بين الامير جهجاه الحرفوش حاكم بعلبك وبين
رجل من الاكراد يقال له الحاج اسماعيل . فضى الرجل الى دمشق الشام واشتكى
على الامير جهجاه الى الوزير مدعياً انه اختلس منه دراهم جزيلة المقدار . وطلب
منه ان يوجه معه رجالا اليه وكان الوزير يرغب ذلك لان ولاية الامير جهجاه
كانت على طريق الغلبة كما مر . فجهز له عسكراً من رجال الدولة . وكان
الامير جهجاه في احدى قرى بعلبك . فاشرف الا والحاج اسماعيل . كبس تلك
القرية . فخرج الامير جهجاه منهزماً . ودخل الحاج اسماعيل بالسكر فنهب
القرية وكان الامير جهجاه مستوطناً باهله هناك فنهب كل ماله وسبي نساءه
ومضى بين الى دمشق فاكرمه الوزير واتمم عليه والبسه خلعة حكم بلاد بعلبك .
وارسله اليها بعسكر عظيم . وكان الامير جهجاه قد رجع الى مدينة بعلبك .
واسر ان ترحل سكانها واهالي قراها فرحلوا وحضر هر الى زحله رجال قلايل
واستعد لقتال الحاج اسماعيل . وطلب من اهل زحلة انه اذا اقبل الحاج اسماعيل
وخرج اليه يخرجون ايضاً معه لا ليقاتلوا لكن يكفونون كالتفرجين ليريه جمهوراً
كبيراً . وفي اثنا ذلك وصل الحاج اسماعيل الى بعلبك فلم يجد فيها احداً .
وبلغه ان الامير جهجاه في زحلة . فقصده الى هناك . وخرج الامير جهجاه الى
لقان وشاع الخبر في المكان . فخرج اكثر اهل زحلة . وتزل الامير جهجاه
باصحابه . وصادم عسكر الدولة بجرأة عظيمة ولما رأى عسكر الدولة ذلك
الاقدام ورأى التلال قد اقدمه قد امتلأت بالرجال غلب عليه الخوف فانهمز وسمى

الامير جهجاه في اثرهم . فانتشوا عليه وقاتلوه فظفر بهم وساق وراهم حتى قتل منهم ما ينوف عن مئتي قتيل . ورجع ظافراً منصوراً . وعاد الحاج اسماعيل الى دمشق مخذولاً . فاشتد غضب الوزير وعزم ان يجهز عسكرياً عظيماً على زحلة ويحرقها وينكب الامير جهجاه . فقيل له ان اهل زحلة ليس هم عصاة ولا حاربوا الدولة فحرهم حرام . والامير جهجاه متى رأى عسكرياً لا طاقة له على لقائه يهرب نحو الجبل ولا تقدر ان تملكه ولا يمكن ان يدع بلاد بطبك تصر ولا يتولى غيره عليها . وحضر الشيخ عباس التل الى مجلس الوزير . فتوسط امر الامير جهجاه واطلق له نساءه تحت ايراد عشرين الف عرش واخرج له خلعة حكم بلاد بطبك وارسل اخاه الامير سلطان الى دمشق رهناً على ايراد المال .

وفي هذه السنة تقدمت الشكوى من الامير بشير ونائبه فارس ناصيف على الشيخ محمد القاضي الى احمد باشا الجزائر بانه رجل خبيث لا يقدر عن السعي بين اهل البلاد ومناصبها وهو يدعو الناس الى الامير يوسف خلافاً لامر الوزير . وانه ما دام في الحياة لا تكون راحة في البلاد ولا مصلحة للاموال السلطانية . وكان الشيخ محمد يومئذ في عكا لانه كان يتردد كثيراً على الجزائر وهو يتنظر الانعام منه جزاء على منفعتة في نوبة المالك . ولما تقدمت هذه الشكوى عليه امر بقتله فاذا هو الجراء . وكان الشيخ محمد من اعقل الناس وادمهم رأياً واعظهم دها . وانذم حيلة .

وفي هذا العهد التجأ الامير قاسم الحرفوش الى الامير بشير الشهابي وطالب اسمافة على ابن عمه الامير جهجاه ليتدعه من الولاية ويتولى مكانه . فاجابه الى ذلك وجمع له عسكرياً من الشوف وارسله معه الى زحلة وكتب الى اهلها ان ينهضوا معه وكتب ايضاً الى اهل المتن وامرانيا . وكثر جمهور الامير قاسم وتوجه الى قتال ابن عمه الامير جهجاه . وكان الامير جهجاه مقيماً في قرية تين . فلما علم بقدم الامير قاسم خرج الى لقائه . وانتشب القتال بينهم في ارض ابلع . ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى انكسر عسكري الامير قاسم وولى منهزماً في تلك القطار . فساق الامير جهجاه في اثرهم حتى ابدم عن تلك الديار ، ولم يأذن لاصحابه في القتل منهم فكانوا يلربون خيلهم وسلاحهم

وبقر كونهم . وقبضوا في تلك الموقعة على الامير شديد ابى اللع واحضروه لدى الامير جهجاه . فامر له برد سلاحه وجواده واطلقه عزيزاً كريماً . ولم يقتل في ذلك اليوم الا رجال قلائل . ولم تكن رجال الامير جهجاه مقدار ربع السكر الذي اتى به . ولما رجع السكر الى البلاد منهزماً جرد الامير بشير عكراً آخر واقام عليه اخاه الامير حسن وارسل معه بعض امراء ومشايخ من البلاد فقصدوا الامير جهجاه الى بعلبك ولما بلغ الامير جهجاه قدومهم اليه ترك المدينة خالية من السكان وتقدم الى تلك القرى . فوصل السكر الى هناك ولم يجد ما يعتات به . فاقاموا الا قليلاً وانتشروا راجعين . وعاد الامير جهجاه الى بعلبك فاقام بها . وكان من حين كبة الحاج اسماعيل الكردي ما زال واحداً ارساده على مشارف الطرق التي يظن فيها اقبال العدو فاذا لاح لهم قوم اندروه بهم . فان كلبوا ممن يستطيع الثبات لهم ثبت والا اخلى المدينة ورحل . وكان في خلال ذلك لا يتقر في مكان خوفاً من غدر الغادين . واما الامير قاسم فلما رأى ان الامير بشير لا يكفي لقضاء حاجته التجأ الى احمد باشا الجزائر فجهز له عكراً من الدولة والمثاربة وارسلهم معه ومهمهم بعض مشايخ بلاد الشوف وامرهم ان يطردوا الامير جهجاه من جميع تلك الاطراف ويتبعوه اينما سار الى ان يامنوا رجوعه . فساروا حتى رجعوا الى قرب بعلبك . وعلم الامير جهجاه بقدمهم فنهض الى راس بعلبك واقام هناك . فدخل السكر الى بعلبك فلم يجد فيها احداً وبلغهم انه في راس بعلبك فقصده الى هناك . ولما علم الامير جهجاه بقدمهم نهض واقبل على مدينة بعلبك من طريق آخر فاصولوا الى راس بعلبك حتى كان قد وصل الى بعلبك فتهب ما وجد في تلك الاطراف . وتوجه الى جهة المشرق ووصل الخبر الى الامير قاسم فرجع الى بعلبك واقام بها .

وفي سنة ١٢٠٥/١٢١٠ كان الامير يوسف قد ارسل الى احمد باشا الجزائر يطلب صفو خاطره عليه وكان لم يزل مقيماً في بلاد حوران . فاته الجواب بالاجابة ودعا ان يحضر اليه . فحضر الامير يوسف الى عكا ودخل على الوزير وفي عنقه منديل الخضوع . فقبله الجزائر واكرمه واعطاه الامان واقام الامير يوسف في عكا مقدار ستة اشهر . وكان الامير بشير بعد خروج الامير يوسف

من البلاد قد تمكن من الولاية وطابت له الايام. فاخذ يوزع اموالاً على البلاد ويطلب مطالب لم نسق بها العادة وفرق الحوالات في السبع مقاطعات وضجت الناس بالشكوى من ظلمه الشديد وعجزت عن القيام بطاليه . وفي اثناء ذلك امر الجزائر الامير يوسف ان يحضر نائبه الشيخ غندور الحوري الى عكا ليتقى رهناً عنده ويبلس الامير يوسف على حكم الجبل ويبقى يورد المال عن يد الشيخ غندور . وكان قد حصل الاتفاق بينهما على ستنة الف غرش . وكتب الجزائر الى الشيخ غندور كتاب الامان وارسله اليه الامير يوسف ودعاه الى الحضور وكان يوشك في ضراحي الضية . فاقبل مرعاً الى عكا ودخل على الجزائر فرحب به واكرم وانعم على الامير يوسف بمخلصة الولاية . وكان ذلك في اول شهر كانون الثاني وارسل الشيخ غندور الكنب الى مناصب البلاد يعلمهم بذلك . وشاع الخبر واستشرت الناس بزوال حكم الامير بشير عنهم . وقامت الافراح والتهاني في جميع البلاد وهربت حوالية الامير بشير من كل مكان . وتزوج الامير بشير من دبر القمر الى الشوف . ونزل في قرية نيمنا لانه لم يبق له صديق في البلاد الا الشيخ قاسم جنلاط لا غير . وذلك لكثرة ظلمه وجوره . لانه لم يدرك احداً سالماً من نكبة حتى انه بلص الامراء بتي عمه ولم يحفظ حرمتهم ولم يدع مكاناً خالياً من الحوالات حتى اديرة الرهبان . وكان طلبه شديداً فاحشاً . وكان يرسل الحوالات ويردقها حالاً باخرى . ويطلب من الانسان اكثر ما يملك كثيراً . ولم يكن يقبل شناعة ولا عذر ولا واسطة ولا يرتي لاحد ولا يشفق على احد . واشتد الصر في ايامه حتى كان لا يباع شي . ولا يشتري لان من كان عنده فضول مال لا يجسر ان يشتري بها خوفاً من الشهرة بوجود المال . فرخصت الارزاق والاراضي والامثلة حتى صار ثمن قنطار الزيت بمجشرين غرشاً وما دون وحمل الورق بمجسة غروش واقل . وكذلك باقي الميقات وكان يتولى امر البلص فارس ناصيت وجدعون آغا الترك . ولم يكن عندهما اثر من رحمة الله وخوفه . وكان عندهما رجل من مزرعة العرب المجاورة لبيروت يقال له مخايل ابو خليل . فكان يسمى بالناس ويفرض عليهم كما يحظر على باله وهو لا يعرف المفروض عليه اكثر الاحيان ولا يعرف منا عنده . فربما كان ما يفرضه عليه بقدر ما يملكه اضماًفاً . ومتى جرى القلم بشي .

لزم استيفاؤه على حكمه فلا يترك منه شيء مطلقاً . فجمعوا من البلاد أموالاً لا يملها إلا الله . وضاعت صدور الناس ونفذ ما في أيديهم . ولما شاع خبر الأمير يوسف املوا بالفرج من تلك الشدائد . وحضر الى دير القصر بعض افراد البلاد ومشايخها . وتوجه كثيرون الى ملاقاته الأمير يوسف . وبينما الناس كذلك وهم ينتظرون قدوم الأمير يوسف الى البلاد . ركب الأمير بشير وتول الى عكا وتمهد للجزار بالمال الذي تمهد به الأمير يوسف فقبل منه وانعم عليه بتقرير الولاية . وافر بالتسليم على الأمير يوسف وبعض اتباعه . فرجع الأمير بشير مسرعاً الى دير القصر . وفي رجوعه ادرك الذين كانوا توجهوا للملاقاته الأمير يوسف . فامر اصحابه ان يلبوا كل سلاحهم وبعض ثيابهم . واطلق بعضاً منهم واستاق بعضاً الى السجن واقام في دير القصر . وعادت الحوادث اشد مما كانت قبلاً .

ابو عسكر يونس وفارس الدهان

وفي هذه السنة حدث بين ابي عسكر يونس نقولا وبين فارس الدهان خصومة . فاراد ابو عسكر ان يتقم من فارس فوشى به عند احمد باشا الجزائر . فقبض عليه وطاب منه خمسين الف غرش . واستورد ذلك المال تحت ضمانته ديوان بيروت . وعاد فارس فوشى على ابي عسكر . فقبض عليه واخذ منه خمسين الف غرش ايضاً واطلقه . فرجع الى بيروت ومرض وتوفي . وكان رجلاً عاقلاً وديماً محمود السيرة والسريرة . وكان له منذ حكم الأمير ملحم الشهابي متلماً ديوان بيروت ولم ينازعه احد عليه وكان محباً للجميع مجرباً من الجميع معتبراً عند الجمهور . حتى انه كان ينهض كل يوم من داره الى الديوان فحيثما مر في الاسواق قامت اليه الناس من الاسلام والنصارى تحية فلا يملك ان يرد تحية بكل الفاظها . فيقتصر على البض . وكان له اخ قاصر العقل والهمة . حدث يوماً ما مشاجرة بينه وبين رجل من المسلمين يقال له سيد احمد الزوين . وكان سليط اللسان فشتته فضى الى اخيه وشككا اليه ذلك واقم انه لا يجاوره ما لم يتصف له من خصه . فقال : نعم . علي ذلك . وساجطه اذل من قيسي بجمص . فانصرف عنه ودعا ابو عسكر ببعض الحالين . فاعطاه

قفة من الارز يحملها الى سيد احمد الزوين . وكان سيد احمد قد قدم بعد ذلك خوفاً من ابي عسكر ولامه الناس على جسارته وبينما هو كذلك اقبل الحال بهدية الى عسكر . فكاد ان يذوب خجلاً واخبر قومه بذلك . ولما كان المساء اجتمعوا ومشوا الى دار ابي عسكر حتى دخلوا عليه فآكرمهم . واقبل الرجل على ابي عسكر واراد ان يقبل يده فامتنع عنه . واخذ يتذمر اليه . وكان تلك الليلة ذلك الرجل وقومه مثل الضلعان يخدمون في مجلسه . ثم لم يزالوا كذلك الى النهاية . واما اخوه فضضب من ذلك لانه كان يرجو ان ينتقم منه فاذا هو قد احسن اليه . فقال له : يا جاهل ! واي انتقام اعظم من استخدامنا رجلاً مسلماً تمت عليه بقبولنا له ؟

وبعد وفاة ابي عسكر استمر فارس الدهان متسلماً ديوان بيروت . وكان على ثروته شجياً حتى قيل انه كان يرسل ولده فضل الله الى بساتين له خول نهر بيروت فاذا اراد ان يرسل اليه غداء ذلك النهار ارسله مع خادمه وكتب اليه رقعة يذكر له فيها عدد الخبز وما يتبعه من ادم كالجبن والبيض ونحوها . وكان لا يبالي بمعروف ومنكر . فمضى الى عكا ولمح ان الجزائر يريد ان يطلب مالاً من نصارى بيروت . فضمن ذلك المال بمئتين وخمسين الف غرش طمأ في تحصيل اكثر فيبيع الفاضل . واصبحه الجزائر بامر في القبض على النصارى . وفي نصف شهر آذار حضر الى بيروت وارسل الجزائر اليها متسلماً صارماً قاسياً . فاعطاه فارس كتاب الرزير في القبض على النصارى . فقبض على اكابرهم والقاهم في السجن واقام عليهم العذاب وكنت الاعولن تعذيبهم عذاباً شديداً لا يطاق . فاذا دفع احدهم مالاً خففوا عنه العذاب . وفي غضون ذلك توجه نصر التويني الى عكا وقدم للوزير دقراً باسما . النصارى مفروضاً فيه على كل واحد منهم مبلغاً من المال بزعمه انهم يقدرون على ذلك ولا يتضايقون به . فكان مجموع هذا الدقر ثمانية الف غرش . فارسل الجزائر هذا الدقر الى فارس الدهان لكي يأخذ مجسه . فاجابه انه يزرع جهده في ذلك بحيث انه يأمر بتتل تصور التويني . فامر بقتله . ومضى الى لمة الله . واشتفى به غليل القوم وتمنوا مثاه لفارس لان سميتها كان واحداً . والله على كل شيء قدير .

وزاد الطلب بعد ذلك على الناس واشتد عليهم العذاب . فصاروا يبيرون

املاكهم وثيابهم وامتصهم بالجس الاتمان واقاموا في السجن ثلاثة عشر شهراً . وكان اطلاقهم عن يد يوسف ابن قره علي الحلبي ترجمان البنادقة لانه كان له دالة على الجزار فشفع بهم عنده وقبل شفاعته واطلقهم . وكان جملة ما دفعوه من المال اربعمئة الف غرش . لكنهما بمنزلة ستنة الف واكثر لانهم باعوا املاكهم بالجس ثمن واحتاجوا الى رشوات كثيرة . وتكاليف شتى . واما فارس الدهان فاهم الله الجزار وارسل قبض عليه والقاء في السجن قبل خروج المسجونين وطلب منه مئة الف غرش وانام عليه العذاب الشديد . ومكث في الحبس مدة حتى مات تحت العذاب . وكان ذلك عيداً للتصاري في بيروت يتباشرون به . وقد خف عنهم بذلك ما لحقهم من الهوم والاحزان شامة وسروراً .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد السلام الهاد وكان رأى سحبة بني يزبك . وكان رجلاً حكيماً فصيحاً سديداً إلي أي حسن التدبير . وكان قد تجاوز في العمر السبعين سنة .

وفي سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠) كان الامير قاسم الخرفوش قد رجع الى بعلبك واقام بها كما مر . وبينما هو كذلك اقبل عليه الامير جهجاه فخرج اليه وثارت بينها . فظفر به الامير جهجاه وقتله وقتل بعض اصحابه وهرب من سلم منه . ودخل الامير جهجاه المدينة وعاد الى ولايته . وكان احمد باشا الجزار في الحاج . اما ما كان من الامير بشير فانه بعد رجوعه الى دير القمر تشدد كثيراً في البص والظلم وطلب الاموال من جميع البلاد يوماً وخصوصاً . وكان يرسل الخوالات في طلب جانب من المال لا يتبين مقداره فيتمون في تقدمه ما يقدرون عليه من المال ويلتمسون منه ان يعرفهم مقدار المطلوب فيفرض عليهم بحد ذلك مالا يستطيعون عليه ولو باعوا كل ما يملكون ثم لا يتزل عن طلبه ولا يترك شيئاً منه الا نادراً . فضجت الناس وضاعت صدورهم ولم يد لهم سبيل الى الخلاص وكادت البلاد تحرب واهلها يترحون .

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) بينا الناس في ذلك الضيق توفي الامير محمد قايديه في رأس المتن . فاجتمعت في مناحته افراد المتن واعيان الطوائف . وكان ذلك في شهر نوار . وفي ذلك الاجتماع تحدثوا في امرهم وغرموا على طرد الامير

بشير واختاروا مكانه الامير حيدر ملحم والامير قعدان . وتماهدوا وتحالفوا على ذلك . وكتبوا الى امراء البلاد ومشايخها واعيانها وطوائفها بجميع المقاطعات . ونهضوا برأي واحد . وطرردوا الحوالات واهانهم ثم تظاهروا بالمصاوة . ولما رأى الامير بشير قيام الناس ضده وعلم ان منشأ هذه الحركة من المتن استدعى بعض امراء ومشايخ كانوا يميلون اليه وجمع رجاله ورجالهم وتوجه بهم الى عين داره عازماً على قصاص اهل المتن وارسل ابن عمه الامير حيدر احمد بجانب من المسكر الى كفرسلوان وامره ان يتتدى في احراق منازل بني حاطوم . ولما وصلوا الى هناك قامت اهالي كفرساوان عليهم وامتد الصوت في المتن . فحضرت الرجال . وانتشبت بينهم الحرب فكانت النصره لاهل المتن . وقتل انفار من رجال الامير بشير . وساب اكثر خيلهم وسلاحهم وارتدوا خابرين . ولما علم الامير بشير بذلك نهض لدير القصر خوفاً من اهل المتن ان يجتمعوا اليه ومسايقه للامير حيدر والامير قعدان على امتلاك الدير . وعند وصوله عرض الى احمد بلشا الجزار ان البلاد قد عصت عليه وحاربت وطردت اصحابه من بينها وان كل ذلك بسبب الامير يوسف وثأبه غندور الحوري لان كتاباتها متصلة الى البلاد . فغضب الجزار وامر بقتل الشيخ غندور . فقتلوه شتقاً . وقيل انه مات قبل وصوله الى المشتقة فطلقوه ميتاً وشتقوا معه ابراهيم عزام واجد اولاده . وكان ابن الشيخ غندور محبوساً في عكا . فكش في السجن حتى توفي به عن قليل . وانتهت حياة الشيخ غندور وسادته على هذا المنوال . وترك مرجيمون التي كان لايقنع بكل ما في يده حتى يسلبها من امراء وادي التيم ويتطعم ارزاقهم كما تقدم الشرح . وبقي الامير يوسف في عكا ينتظر ما يقضى له وعليه . وكان وقت طلوع الحج فخرج الجزار الى دمشق الشام .

موقعة زحلة

وكان بعد رجوع الامير بشير الى دير القصر حدثت فتنة بين اهل الدير وعسكر الجزار المقم عند الامير بشير . فتأيدت رجال الدير وقتلوا من المسكر مقدار ثلاثين نفرًا ووردوه من الدير وقاموا ضد الامير بشير . فخشي من ذلك ورأى ان اكثر البلاد صار ضده ولم يبق من حزبه الا بعض المشايخ بني

جنبلاط . فجمع عشيرته وتوجه الى صيدا ومعه الشيخ قاسم جنبلاط . ومن هناك ارسل الى دمشق يطم الجزار بما كان . فامر بقتل الامير يوسف من غير مراجعة . فقتل شتقاً كما قتل الشيخ غندور . وكتب الجزار الى مسلم عكا ومنسلم صيدا ومنسلم بيروت ان يكونوا مؤازرين للامير بشير في الرجال والذخائر . وقبل خروجه الى طريق الحج امر منسلم دمشق ان يجهز عسكراً لمحاربة جبل الشوف . فجمع عسكراً من الدولة والمهارة والمظاربة والارناؤط واقام عليهم قره محمد وكان رجلاً شديداً من وجاق الدالاتيه . فاتوا وضرخوا وطاقهم في بر الياس وهربت اهالي الجبل من جميع قرى البقاع . ثم ركب السكر على زحلة ولم يكن فيها سوى اهلها . فغاروا على حريمهم واموالهم وصادموا السكر بعزم شديد فكانوا هم الظالين وارتد عسكر الدولة خائساً . وارسل القره محمد اعلم منسلم دمشق بما كان . فانفذ اليهم رجلاً يتسبون بها في القتال وكان قد بلغ اهل الجبل ما حدث في زحلة . فانتخت اكبرها وجمعت عسكراً وتوجهت به الى زحلة لاسطاف اهلها . وتزل عسكر البلاد في زحلة فوقمت منه ثقلة على اهل المكان . وكان في السكر اقوام غلاظ . فانكر اهل زحلة عشرتهم ولم يكن لهم سبيل الى رفعهم فاخذوا يرحلون نحو الجبل واخاروا لهم المكان . فاقبل عسكر الدولة على زحلة واحرقها بالنار وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر تموز . مع ان اهل زحلة كانوا كنفراً لسكر الدولة لو لم يحضر اليهم عسكر الجبل . فكان ذلك عليهم ضرراً جسيماً . وبعد قليل من الايام ركبت الدولة على ارض تمتايل وكان بها اناس من الجبل يجمعون غلالهم اختلاصاً . فادركتهم الخيل ولم يدع يمكنهم الهرب . فدخلوا الى مكة وهي قرية خربة وتمحصنوا بها واحاطت بهم الدولة وانتشب بينهم القتال . وكانوا مقدار ستين رجلاً لا غير . وكان معهم راهب من بني احازن وبعض رجال اشداء فشحوا بعضهم وناضلوا عن انفسهم وصادموا الدولة وثبتوا كذلك الى ان امتد الصوت الى الجبل واقبلت الرجال الى اسطافهم فارتد عسكر الدولة عنهم مخذولاً . وقتل منهم اثني عشر رجلاً ومن الدولة مقدار اربعين . واقام عسكر الدولة بعد ذلك في بر الياس مقدار خمسين يوماً . وامتد الصوت في جميع البلاد فتقاطرت الرجال من كل جانب واقبلوا على

عسكر الدولة وحملوا عليه حملة صادقة. فولت الدولة منهزمة الى دمشق وتركت كثيراً من الاسلاب والالال التي جمعتها من اراضي البقاع . فاعتنتها عسكر البلاد واحرق بر الياس ورجع كل احد الى مكانه .

واما الامير بشير فكان لم يزل متيقناً في صيدا واسطه بمنسلم عكا ومنسلم صيدا بعسكر عظيم . من رجال الدولة فاقبل به على حرش بيروت واخذ يتطاول على املاك اهل الجليل وبساتينهم التي هناك وارسل جانباً من العسكر الى انطلياس فاحرق بعض البيوت وامتد الصوت نحو قماطع المتن وازواق كسروان . فاقبلت الرجال ولم نجد احداً لانهم كانوا هربوا ولم يجسروا ان ياحقوهم فرجعوا الى مكانهم . ثم طلع جانب من العسكر الى الشياح واحرق بعض بيوت . فادركتهم بعض رجال العرب . وحدث بينهم قتال . فقتل من الفريقين انفار . وانتهزت الدولة الى الحرش . ثم طلع جانب من العسكر الى المكلس واحرقوها جميعها وبينما انطرح الصوت على بيت مري ورماتا كفت الدولة راجعة الى مكانها . وتقرمت الدولة واستهانت باهل البلاد . لانهم كانوا لا يجسرون ان يتطوروا مهم الى السهل خوفاً من سباق الخيل . فامر الامير بشير ان يركب العسكر جميعه ويطلع نحو القرب . واذا ملكوا قرية يحاصرون بها ولا يهربون . فركبوا حتى وصلوا الى حدث بيروت . ولم يجدوا احداً في جميع تلك الديار لان اكثر اهل السواحل هربوا واخلو منازلهم . فاحرقوا الحدث . وتقدمت المغاربة والارناوط حتى وصلوا الى بعبدا . فوجدوا فيها بعض رجال . فثار القتال بينهم . فاستظبرت الدولة عليهم وطلبوا الحرب ولم يجدوا سبيلاً اليه فدخلوا الى دار الامير حيدر ملحم . ولم يكن بها احد . فاحاطت بهم الدولة واتصل بينهم ضرب الرصاص والى ان وصل باقي عسكر الدولة هناك كان قد امتد الصوت في القرب واقبلت الرجال فانثبب بينهم القتال واشتد المراك وجاهد كل فريق منها على قدر ما استطاع . وكلمت النساء . تدخل بين التوم حاملة لرجالها الماء . وهي ترمي الدولة بالحجارة . وكان عسكر الدولة يقل لما يفقد منه من القتلى وعسكر البلاد بكثير لما يقبل اليه من الانصار . وطلبت رجال الدولة الفرار فلم يجدوا سبيلاً للاحاطة الرجال بهم . وقتل منهم في ذلك اليوم مقدار اربعمئة نفر واعتنم عسكر البلاد خيلهم وسلاحهم ولم يقتل منه سوى

رجلين فقط . وانجرح اثناس قليلا . ولم يكن في ذلك اليوم من الدروز الا نفر قليل وحسبت تلك الموقعة للتصاري . وكان عندهم يومئذ عيد مريم للواقع في خامس عشر من شهر آب .

وفي ذلك النهار رجع الامير بشير وخشي ان تنزل اليه رجال البلاد فتزل في البحر وسافر الى صيدا . وتبدد المسكر الذي كان معه . والشيوخ قاسم جبلاط تركه ايضا ورجع الى مكانه .

وفي اثناء ذلك حضر احمد باشا الجزائر من الحج ومضى اليه الامير بشير واخبره بكل ما توقع واجتمعت المناصب من جميع البلاد في دير القنبر وجدوا المهود بينهم على ان يكونوا قلباً واحداً ويدا واحدة في مصلحة البلاد . وكتبوا الى الجزائر انهم قوم يطيقون الله والسلطان ويطلبون صفو خاطرة . وانهم لا يقبلون الامير بشير حاكماً عليهم لاجل ظلمه وانهم لا يدفون الا المال السلطاني المرتب من قديم الزمان . وسألوه ان يرسل خلة الولاية للامير حيدر والامير قعدان . فحضر الجزائر صفحاً عن سؤالهم ولم يرد لهم جواباً . وطيب قلب الامير بشير ونجهز له عسكرياً عظيماً وارسله الى وادي التيم وارسل الى منسلم عسكراً ومتسلم صيدا ان يجمعا عسكرياً ويرسله الى جسر صيدا . ففعلوا وارسل الجزائر عسكرياً آخر الى بعلبك . وكان قصده ان يضايق البلاد من كل الجهات ليأخذها قهراً . ولما بلغ الامير جبهته اخرفوش قدوم المسكر الى بعلبك اخلى المدينة ودخلها المسكر وتزل بها مطمئناً . وسار الامير بجبهته برجاله خفية وكبس بعض القرى من مطلة دمشق الشام . فنهب مواشي كثيرة وتوجه الى حيث لا يقدر الجزائر ان يظفر به . والمسكر الذي حضر الى وادي التيم اتاه عسكر من جبل الشوف ووقع القتال بين المسكرين فانكسر عسكر الجزائر وهربت الحياطة منه ودخلت المشاة الى سراي حاصيا فحاصرت بها . فاقاموا عليهم خمسة رجل يحفظونهم من الفرار ورجع باقي العسكر الى البلاد . وكانت السراي خالية من الزاد . فتضايقت القاربة والارناوط من الجوع وطلبوا من المحافظين عليهم ان يدعوم لينهبوا بانفسهم فقط . ويتركون لهم سلاحهم وامنتهم . فلم يقبلوا . ولكنهم ندموا اخيراً . لان الحيل التي هربت ما غابت الا اربعة ايام . وفي اليوم الخامس اقبلت معها عسكر جزائر منع الامير بشير

ورجاله واغاروا على القرية. فامتد الصوت واجتمعت الرجال وثارت الحرب بينهم بالقرب من الحان. والرجال الذين كانوا يحافظون السراي انصرف اكثرهم الى قتال المسكر الذي حضر فصار سبيل للمجاصرين وخرجوا وانضافوا الى عسكرهم وكانوا اشد الكفاح فانتصروا على عسكر الدروز وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسروهم وما زالوا في آثارهم يقتلون منهم من ادكوه الى ان توسطوا الجبل. فرجعوا واحرقوا خاصيا. وتركوها خراباً وعادوا راجعين الى عكا. وكان الجزار قد حضر الى عكا واستدعى كل الماسكر ما عدا الذين في بعلبك واقام عليهم قواداً وانحفهم بالعطايا وفرض لهم الاقامات الجزيلة وارسلهم الى اطراف البلاد وكانوا مقدار ثمانية آلاف فحضروا واقاموا في عانوت وداريا وشحيم من قرى اقليم الحرنوب واخذوا يقطعون الاشجار ويجرقون المنازل. وينهبون الاموال ويجرشون الناس للقتال. وكان قد وقف اتس من اهل البلاد على حدود البلاد بمقابلة عسكر الجزار لكي يمنوه عن التقدم ولم يزل في الاقليم. واما المسكر الذي كان في بلاد بعلبك فلم يزل هناك وكان قائده واضاً ارساداً على طريق المدينة من جهة القبلة احتساباً من كبة الامير جهجاه الحرفوش. وكان الامير جهجاه بعد ان كبس بعض القرى في معاملة دمشق ونهبها حضر الى زحلة وعزم ان يكبس عسكر الدولة الذي في بعلبك ولم يكن معه من المقاتلين سوى مئة نفر لا غير. فطلب ان يصاحبه من اراد من اهل زحلة تحت اجرتهم فاجتمع اليه مقدار مئة رجل ايضاً فاخذهم ومضى بهم الى نحو بعلبك. وكان قد علم بارصاد الدولة فاخذ بطريق آخر من جهة الشمال وامر اصحابه ان يدخلوا معه دخول اللصوص في سكون وخفة ولا يرفع احد صوته ولا يعجل في مشيه الى ان يكرنوا توسطوا المدينة وتفرقوا بهم كما رتبهم. وان يتاهدوا باسم عبدالله فن سألوه من انت فقال عبدالله فيتركوه والا فيقتلوا به. وصبر حتى جن الليل بظلامه ودخل المدينة برجاله. وكان معه اخوه الامير سلطان. وكان ذلك بعد نصف الليل فتفرقت رجاله كما امرهم ثم صاح بقومه الباقين معه واطلقوا الرصاص وقامت اصوات البازود وبسخت اصحابه ففطت كذلك من حيث هي وانقلبت المدينة بضجيجها. ووزار الامير جهجاه يدعوا باسمه. لا سمي لما عنده من الامراء والمشايخ وطوائف المقاطعات ليوم الدولة انهم في

صحبه وكانت اصحابه تدعرك كذلك وتضج حتى ارتجت المدينة في ذلك الليل ووقع الرعب في قلوب عساكر الدولة لانهم كانوا نياماً . . . فانتبهوا على صوت البارود وضجيج الناس وصهيل الخيل فظنوا ان رجال عربستان انقلبت اليهم فنهض كل واحد منهم من مضجعه وطلبوا الفرار وكانت رجال الامير جهجاه تسأل كل من لقيه عن نفسه فان لم يقل انا عبدالله عملت فيه السلاح . قتلوا جماً غفيراً من عسكر الدولة ولم يسلم منهم الا من نجاه الله وكان اكثرهم نهض من مضجعه وهو لا يتب على نفسه من شدة الرعب فيخرج نهزماً ويترك سلاحه حيث كان . ولما غلت المدينة من رجال الدولة . دخل الامير جهجاه ورجاله الى منازل المسكر فوجدوا كثيراً من الاساحة والحيول والاسلاب والاموال فاغتنموها غنيمة باردة ورجعوا الى زحلة . واقام الامير جهجاه هناك . وكان ذلك في آخر شهر كانون الاول .

وفي هذه السنة حدث مطر عظيم في اراضي دمشق في آخر شهر ايلول . فطاف نهر برده وهدم جاتياً عظيماً من المدينة وهدم خان الدالاتية واخذ كثيراً من الناس ولم يحدث مثله في تلك الارض قبل ذلك من قديم الزمان . لان ارض دمشق قليلة المطر لا يقع فيها غالباً الا رشاشاً .

« الجزار لا يقدر على البلاد »

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧١١) كان الذين هربوا من كبة بعلبك توجهوا الى دمشق واخبروا بما جرى عليهم من الامير جهجاه . وكان في دمشق رجل يقال له الملا اسماعيل وكان من رؤساء الدالاتية . فانتخى وتكفل انه يركب على الامير جهجاه ويقتله ويحرب بعلبك . وكان الملا اسماعيل جباراً عنيداً . فركب بالنف وحثي فارس من رجال الدولة وتوجه الى زحلة . ولم يكن يومئذ من رجال زحلة سوى شتي رجل فما دون ومن رجال الامير جهجاه مقدار مئة رجل . وكان اهل زحلة قد احتسبوا من غدر الدولة فحضروا خليجاً محيطاً بالبلد والسور . ولما اقبل عليها عسكر الدولة انقم فرقتين لكي لا يقدر احد منهم على الهرب . وكان الامير جهجاه قد امر ان لا يخرج احد خارج الخليج . وهجمت الدولة على البلد من جهة القبة ومن جهة الشمال . وثار بينهم القتال وكان بغض رجال

زحلة مكمنين في الخليج الى الجهة القبليّة . فكانوا اذا دنت منهم الحيل اطلقوا عليها الرصاص . فقتلوا منها وهي لا تراهم . وكان الامير سلطان الحرفوش في الكروم امام البلد ومعه خمسة عشر فارساً . فجال مع الدولة وقتلتها وكان حينها تقدر عليه الدولة يهرب من وجبها فاذا ارتدت عنه ينشي عليها الى آخر الكروم ويرجع . وقتل انفاراً من الدولة واشغل جانباً منها به حتى كادت تستظهر عليه . فتحوّل الى هناك بعض رجال البلد واكدوا تحت شطاب الكروم فكانوا اذا كرت الدولة على الامير سلطان يطلقون عليها الرصاص فيقتلون منها وأرصاد الخليج تتناول من لاح لها . فانكسرت الدولة وقتل منها خلق كثير وارتدت على اعقابها خاشة نحو دمشق الشام . وكان القتال ذلك اليوم قد دام بينهم خمس ساعات على استقصائها . وكنت العتير يومئذ هناك اسمع وارى . ولم يقتل من اهل زحلة سوى رجل يقال له ابن المبارك وعرجت الدولة في طريقها على مكان يقال له السلطان ابرهم . فاقامت اياماً هناك . وفي اثناء ذلك اتت سرية منهم نحو بعلبك في الليل فاصبحت في نواحي ابلح الفرزل وهناك صادفوا بعضاً من المراثي فاخذوها واتت عشر رجلاً فقتلهم وعادوا راجعين .

واما الساكر التي كانت في اقليم الحنوب فكانت كل يومين او ثلاثة تصد بعض القرى المجاورة لها فتنبه وتقتل وينتد الصوت فتقبل الرجال عليها فتهرب الى منازلها . وبعد ذلك سار منها شرذمة نحو مزرعة الشوف وكبورها فهربت سكانها وادركوا انفاراً منها فقتلهم وناء . فسبوا ونهبوا ما وجدوا هناك وعادوا . ثم كبسوا غريفة وكان فيها عسكر من اهل البلاد فقاتلهم وانكسرت الدولة وقتل منها جماعة فانهزمت . وكان ذلك في شهر شباط . ثم عادوا اليها ثانية فالتقاهم عسكر البلاد واقتتلوا طويلاً وجاهبت الدولة ذلك النهار وافرغت كنانة الجهد فاستظهرت على اهل البلاد وقتلت منهم خلقاً كثيراً . ونهبوا غريفة واحرقوها وتشتت رجال البلاد . وكان قد طال المطال على اهل البلاد في الحرب والتراخ وضجروا من كثرة الاجتماع والافتراق وتمطلت اعمالهم ومصالحهم لانهم بينا كلوا يرجعون من السفرة الاولى يجد عليهم الصوت الى الثانية . وراوا ان ذلك مما يطول عليهم ولا يظفرون بطائل منه لان عساكر

الجزائر لا تزال تتجدد وتنفروا مكاناً بعد آخر . وكان الجزائر قد قطع عنهم سيل القوت من البر والبحر . فقلت الاسرار وقل الوجود واشتلت الناس في ذلك . فصاروا بعد ان كانوا يذهبون الى الحرب من انفسهم لا يذهبون ولو بالاكرام والاعتصاب . والذاهب منهم لا يلبث قليلاً حتى يعود . فلما رأيت مناصب البلاد ذلك عوت على كيسة الدولة نوبة واحدة اما لهم واما عليهم . فاخذوا يجمعون الرجال ويذلون الاموال ويرغبون ويتعدون حتى اجتمع اليهم جمهور كبير فرتبوا الفرسان والرجال والقواد وساروا ليلاً يطلبون قرية شحيم حتى قاربوها فانقسموا ثلاث فرق واحاطوا بها وهجموا هجمة واحدة وعلاصياحهم وضجيجهم وقامت اصوات البارود من كل جانب . وكنت الدولة غافلة في منامها فاندعرت واعجلتها رجال البلاد عن التحفظ . فدركت خيلها وسلاحها وهربت تطلب النجاة . واستطال عسكر البلاد عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة واغتم كثيراً من الحيل والسلاح والامتعة واحرق جانباً من شحيم واتثنى راجعاً . وكثيرون منه حضروا الى الحرب مشاة فرجعوا خيالة ولما اقبلوا على دير القصر راكبتين خيل الدولة ولايسين قلابتهم وثيايهم توهموا ان عسكر البلاد اذكسر وان المقلين عليهم هم رجال الدولة . فخافوا واستعدوا . حتى سبق اليهم اناس وبشروا بالانتصار فقامت الافراح ودارت البشائر في جميع البلاد وكان ذلك في اول شهر آذار .

ولما بلغ الجزائر ذلك استشاط غضباً وكتب الى قره . محمداً وبقية اغوات المسكر يشدد عليهم على الرجوع والثبيت واطاف اليهم رجالاً كثيرة وامدهم بذخائر واموال وخيول واسلحة . فنهضوا يطلبون دير القصر . وكان ذلك في ثاني عشر شهر اذار . ولما وصلوا الى قرية عنبال كان فيها قوم من رجال البلاد . فثاروا في وجههم وانتشب القتال بينهم . وكانت رجال البلاد قلائل . فظفرت بهم رجال الدولة وقتلت منهم انقاراً وهرب من سلم منهم الى دير القصر . وامتد الصوت في المناصب والشرف فركب الامير حيدر والامير قعدان وبقية المناصب ورجالهم وتقاترت الرجال من القرى المجاورة . وكان الشيخ قاسم جنبلاط في كيسة شحيم مع عسكر البلاد . فلما وصل الى هناك خان واعتزل عن المسكر وانحاز الى الامير بشير في عانوت ولما ركبت الدولة هذه المرة على

الدير كان الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم جنبلاط في نبع الحلم ومعه جماعة من رجال الشوف . فترك اياه ومضى برجاله الى نصرة البلاد . والتقى الجميع في عنبال ورجع الذين انهزموا من المرقمة . واحاطوا بمسكر الدولة وقامت الحرب بينهم على قدم وساق وعلا ضجيجهم في ذلك الوادي وغطاه دخان البارود وكانت رجال البلاد لا تزال متتابعة عليهم ونا رأت الدولة ذلك المهول طلبت الفرار فلم تتمكن منه حتى قتل منها جانب عظيم . فتبددت في تلك القفار وقتل من اهل البلاد رجالا قليلا وعادوا بالظفر والفتاة .

وعلم بذلك احمد باشا الجزائر فوقع من قلبه موقعا عظيما وارسل يدعو الملا اسماعيل من السلطان ابراهيم ووعده بكل جميل فحضر الى عانوت ومعه الف واربمئة فارس واجتمع بالقره محمد وبقيه الاغوات واجمع رأيهم على ان يرجعوا الى الجبل ويجعلوها وقعة الانتصار وركب المسكر بأسره يطلبون دير القصر . ولما وصلوا الى السقانية اقبل عليهم عسكر البلاد ولم يكن كفرا لهم فكسروه وقتلوا كثيرا منه . وتداعت الرجال من كل جانب وباددت الى نجدة قومها وكان اول من وصل الى هناك الشيخ جهجاه العباد ومعه رجال قليلة وكان شجاعا في الحرب فصد عسكر الدولة وقاتله قتالا شديدا وثبت معه من بقي من رجال البلاد الى ان تكاثرت الرجال واليقتى كل فريق على صاحبه وكان المكان سهلا تجول فيه الخيل فكادت ان تكون الدائرة على اهل البلاد لان اكثرهم رجالة لا طاقة لهم على معاركة الخيل الا انهم كانوا قد تعودوا قتال الدولة وهان امرها عليهم فتجلدوا وكان فيهم رجال اشدا . ففاضوا بين المسكرين والقوا بانفسهم على الدولة وتشدت اصحابهم وكافحوا اشد الكفاح فكانوا هم الغالبين وانهزمت الدولة من بين ايديهم . فساروا في آثارها واعملوا في اقيتها السلاح . وقتل في ذلك اليوم خلق كثير من الفريقين . وكانت هذه آخر الوقائع بين الدولة واهل البلاد . وبعد انصراف الدولة تشارت مناصب البلاد واتفقت على كبس الدولة في عانوت كما فعلوا في شعيم واستمدوا للركوب . وبينما هم كذلك امطرتهم السماء مطرا غزيرا طويلا فامتنعوا به عن المسير . وفي اثنا ذلك تحدثت رجال الدولة في امرهم ورأوا انهم لا يقدرّون على اخذ البلاد لشدة رجالة وكثرتهم وانه قد قتل منهم كثير

ولم يظفروا بطائل فاخذوا الامير بشير والشيخ قاسم جنبلاط وتزلوا الى عكا واعتدروا الى الوزير بان طرقت الجبل عسرة ورجاله كثيرون فلا يمكن ان يؤخذ بالقلعة . وقيل انه قتل في تلك الوقائع مقدار ثلاثة آلاف من الدولة وخمسة من اهل البلاد .

ولما رأى الجزار انه لا يقدر على البلاد اراد ان يتلافى الامر بالتى هي احسن . فارسل يطلب الشيخ عبدالله القاضي ليكون واسطة بينه وبين الامير حيدر والامير قعدان ويرسل اليهما خلسة الولاية عن يده ويأسر بفتح صيدا وبيروت قبل خروجه الى الحج . فاحتسب الشيخ عبدالله من مواجهة الجزار لما يعله من فعله بالشيخ محمد كما مر . فارسل الامير حيدر والامير قعدان عرض الشيخ عبدالله ثلاثة اذغار من عقال البلاد وعقلانها . فواجبوا احمد باشا الجزار وطلب منهم مبلغاً عظيماً من المال بدعواه انه صرف على الساكر اموالاً كثيرة . فقالوا ان نفقة الساكر لا بد منها في الحرب والسلام لانها مقيمة ببابه . واهل البلاد انتقروا من ظلم الامير بشير انذي لم يترك لهم عقالا . واذا طلب منهم مالا لا طاقة لهم به فانهم ينهضون على الرأى كما نهضوا على من ولاه . واخيراً صار الاتفاق على مئة الف غرش واخرج الخلة للامير حيدر والامير قعدان . ودارت البشائر في البلاد وقامت الافراح في جميع الجهات واسر الجزار بالترسيم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ قاسم جنبلاط وابقاهم في عكا الى ان يعود من الحج . واسر برفع اليسق عن صيدا وبيروت واطلق السيل . وكان مع الامير بشير جندعون آغا الترك . فهرب والتجأ الى الامير حيدر والامير قعدان فقبلاه ، ثم قبضا عليه وطلبوا منه حساباً وحققوا منه اموالاً كثيرة عن محاسبات للامير بشير واطلقاه ومضى على ذلك مدة طويلة فبلغها انه يكاتب الامير بشير إخباراً وانذاراً ويدعو اليه الناس من مناصب البلاد ويتخذ بينهم وسائل . فقبضا عليه وشنقاه . وقد ذكرنا ان رسل البلاد كانوا قد تمهدوا للجزار بتة الف غرش من الامير حيدر والامير قعدان . ولم يكن في ايديها مال . فطلب المال السلطاني من البلاد وزادا عليه نصف مال ورتبا على كل من يعطي الجزية درهمين فما دون حتى الرهبان وجما تلك الاموال ودفعاها الى خزينة الجزار وارتضت الناس بذلك

وعدته سهلاً بالنسبة لظلم الامير بشير ومطالبه السابق ذكرها .

حريق في دمشق

وفي سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢) حدث حريق في دمشق الشام وكان عظيماً جداً . وافترق انه كان في الليل فاحترق به كثير من القواوير والحانات والمخازن والدور واتلف كثيراً من الاثاث والامتعة والبضائع . وارتجت المدينة بقسرها وكان الصباح في جميع اقطارها وبادرت الناس لتطفئة الحريق بالماء والتراب . واقبل مسلم البلد واتباعه فقالت الناس تلك غيرة منه على عباد الله . فاذا به قد اخذ يضبط ما سلم من الحريق زاعماً انه يمحي له . وكان ذلك في فصل الشتاء .

وفي هذه السنة تسلم الامير جهجاه الحرفوش حكم بلاد بعلبك من يد احمد باشا الجزائر تحت ايراد خمسة آلاف غرش لا غير . وبها في اليوم الثاني والشرين من شهر تموز حدث مطر عظيم حتى جرت السواقي . وتقاتلت الناس من هذا الامر النادر الوقوع . وفي الخامس والشرين من شهر آب كسفت الشمس بعد الظهر بساعتين ونصف واستمر الكسوف اكثر من ساعة .

غلا . ومجاعة

وفي هذه السنة اشتد الغلا . الذي كان ابتداء من العام الماضي وعظم جداً . فارتفعت الاسعار كثيراً حتى صار كيس الحنطة يباع بثلاثين غرشاً وما زال الامر يشتد حتى نفذ القوت فكان رطل الدقيق يباع بشجرة من الزيتون . وقد مات كثيرون من الجوع وغيرهم كانوا يقتاتون من عشب البرية كالبهاغم وتضي عليهم ايام لا يأكلون خبزاً ولا طاماماً . فتالت الوانهم وهياتهم وفسدت امرجة البعض منهم فماتوا . وحكي ان رجلاً من الشريقات كان يقال له طنوس الدقيق غلب عليه الجوع حتى اشرف على الهلاك وكان له بنية خماسية فحدثته نفسه ان يأكلها . فقال لامرأته : انا لا ننال طاماماً ، فلعلنا نتقات بالماء . فاخذت الحرة تملأها من العين ودعا بابته فاخذ بيديها وحاول ان يذبحها

فامتعت منه وكانت قد سقطت قوته من شدة الجوع فلم يقدر ان يضبطها ولم يتركها ان بذبحها . فالحجرت في عنقها . وبينما هما كذلك اقبلت المرأة فرأتها على هذه الحال فضربت بالحجارة فانصرع واخذت البنت وشدت جرحها وهربت بها الى بيوت الجيران . فحجل الرجل بعد ذلك وندم ولم يسه الجلوس في بيته . فهام على وجهه الى ان دخل بيت رجل من جيرانه يقال له غر البريدي . فجلس ساعة حتى بدت له فرصة . وكان في البيت اناه من اللحم المقدد فاختمه وخرج به حتى اصاب مكاناً مستراً نحت جدار فجلس يأكل حتى شبع فأت . واقتدته زوجته تلك الليلة فلم يرجع واخبرها رجل انه رآه ميتاً تحت الجدار ولديه اناه من اللحم قد بقيت فذلة منه . فبكت وقالت خاف ان يموت جوعاً فات شياً .. وكان الذي ضاعف النلاء ان الجزائر امر باليسق على الغلات في صيدا وبيروت لان الامير بشير كان دفع له مبلغاً جزيلاً من المال على حكم البلاد فارسل الجزائر يطلب ذلك المال من الامير حيدر والامير قمدان او يلم الحكم الى الامير بشير . فاعتذرا عن دفعه واراد مضايقة البلاد فامر باليسق ومنع نفوذ الغلات الى البلاد من جميع الجهات برأ وبجراً . فتضايقت الناس اشد الضيق وباعوا كل عزيز بشن نجس ليعاشوا به .

وبينما هم في ذلك الضيق الشديد حدث الوباء وكان عظيماً لم يحدث مثله في هذه البلاد . وامتد في كل جانب من القدس الشريف الى حلب الشهباء . واعلمك اناساً لا يحصى عددها الا الله ولا سيما في بلاد بعلبك والبقاع وبلاد حمص . وابيات كثيرة غلقت ابوابها ولم يبق احد من اهلها ولم يكن يخلو مكان منه حيث توجد الناس .

جرجس باز واولاد الامير يوسف

وفي هذه السنة كان جرجس باز من دير القمر ابن اخت الشيخ سعد الحوري عند اولاد الامير يوسف وكان من خواصهم المقربين وكانوا يومئذ في سن الصبوة . فتسلم جميع امورهم وضمن لهم حكم بلاد جبيل من الامير حيدر والامير قمدان ودفع لها ستين الف غرش واخرج لهم خلعة الولاية من والي طرابلس على عاداتها . فقاموا الى مدينة جبيل واقاموا بها وصارت بلاد جبيل

وكل ما يليها في يد جرجس باز وتصريفه وشرع من هناك في مكاتبة الامراء والمشايع يستيلهم الى مواله وفتح يده بالعطايا والهبات وكان من كرم النفس ومكارم الاخلاق على جانب عظيم . فالت اليه الناس ورغبت في صحبته وقد ظهر ان حكم الامير حيدر والامير تمدان كان في يد اهل البلاد والجزار ارتضى به اخيراً من عجز منه . فلم يكن لها مزار في البلاد كثيرهما من الولاية . ولما تظاهر جرجس باز بالدعوة الى اولاد الامير يوسف مالت الناس اليهم واستهانت بهما حتى لم يكن لهما استطاعة على تحصيل الاموال السلطانية . فانصرف عزمهما عن الولاية وارتضىا بولاية اولاد الامير يوسف كما ارتضى اهل البلاد . وتقدم الاعراض الى احمد باشا الجزائر بذلك ودفع له جرجس باز مبلغاً عظيماً من المال . فاجاب وارسل خلع الولاية للامراء اولاد الامير يوسف وحضروا الى دير القمر واقاموا هناك وكان ذلك في شهر آذار . وتنحى الامير حيدر والامير تمدان عن الحكم ووضحت الولاية في يد اولاد الامير يوسف بالاسم وفي يد جرجس باز بالعمل لانهم كانوا صيانياً كما سر وكان جرجس باز متصرفاً في جميع امورهم ومهاتهم لا يسأل عما يفعل . وكان بعض المشايخ بني جنبلاط يمارون الى اولاد الامير يوسف وبعضهم الى الامير بشير وكان حزب الامير بشير اقوى من اولئك واطول يداً . ولكنهم خافوا من اولاد الامير يوسف ان يقروا اولاد عمهم عليهم ويقسومهم ضداً لهم فقاموا عليهم . بنقطة وقتارهم . وحدث لذلك شغب واضطراب عظيم ونهضت اولاد الامير يوسف على القاتلين . فاضطروا ان تركوا موطنهم وتزحوا نحو وادي التيم فاجروا عليهم القصاص في بساتينهم ومنازلهم . وكان هذا الصنيع بتدبير الشيخ قاسم جنبلاط الذي كان يومئذ لم يزل في سكا مع الامير بشير . وتعاطى جرجس باز ومواليه امور الولاية . وطابت لهم الايام ولم يكن من يتاومهم في جميع البلاد .

موقعة البادية

وفي سنة ١٢٠٨ (١٧٩٣) حدث خصام بين الامير جيهان الحرفوش واولاد عمه في بلاد بريك واقتتلوا فظفر بهم الامير جيهان وقبض على اثنين منهم فقتل الواحد واعمى الاخر .

وفي هذه السنة لما كان اكثر مناصب هذه البلاد لا يثبتون على عهد ولا يستقرون على رأي نهض البعض منهم ضد اولاد الامير يوسف ورجوع الامير بشير مكانهم واتفق رأي الاكثرين على ذلك وكتبوا الى احمد باشا الجزائر وطلبوا الامير بشير . وكان الجزائر يومئذ قد رجع من الحج فاجاب سؤالهم وانعم على الامير بشير بمجئته الولاية واصحبه بسكر عظيم من رجال الدولة وحضر معه الشيخ بشير جنبلاط الذي كان من اكبر اصدقاء اولاد الامير يوسف . ولما وصل خبر قدوم الامير بشير الى البلاد توجهت اكثر المناصب لللاقائه . وقام جرجس باز باولاد الامير يوسف الى جليل واكثر اهل الدير تركوا مواطنهم وارتحلوا والمشايع النكدية اخلوا منازلهم وتشتوا في البلاد ودخل الامير بشير واخوه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط واخوه الشيخ حسن مع عسكر الدولة الى البلاد ونزل في عاليه من قرى الغرب الاعلى وارتجت منه البلاد . فاقام هناك ثمانية ايام ونزل الى حرش بيروت واقام هناك مقدار اربعين يوماً . وكانت الناس تتوارد اليه وتقدم له التهاني والهدايا وكان السكر الذي معه حينئذ مر او نزل يتناول على كل ما يجده من اموال البلاد ومواشيا وفي اثناء ذلك ارسل الحوالات بطلب اموال وذخائر من الغرب والمتن وكسروان . فنهض بعض طوائف ضده وطردها الحوالات بغير اذن امراتهم . وكان الامير منصور مراد يميل الى الامير بشير فلما رأى عزم الطوائف اتت اليه بعض المناصب وارباب الكلام وعزم ان يدخل الامير بشير مع السكر الى المتن وراسل الامير بشير بذلك فركب السكر وتوجه نحو المتن حتى وصل الى البادية في اول قرى المتن فالتقاه اهلباً ومن يجاورهم في تلك القرى وارادوا ان يمنعوه عن الدخول الى المتن . فقاتلهم واستظهر عليهم وقتل منهم انفراداً . فولوا هاربين . وهجم السكر على البادية فنهبا وسبي نساءها . وكان فيها ودائع كثيرة لاهل الشوف والغرب من دراهم وحرير وحلى وامثلة ومختلفات شتى لانه لم يحظر في بالهم ان السكر يتصل الى هناك . ونهض الامير بشير من هناك الى رأس المتن حتى وصل اليها ونزل بها وكان في سروره ينهب السكر كل ما يصادفه . وكان دخول السكر الى المتن بقتة فلم يكن للناس فرصة ان يودعوا اموالهم . فكان الذي نهبه السكر من المتن اكثر

من الذي سلبه الامير بشير منها في حكمه اضافة . واقام الامير بشير في رأس المتن بالمسكر . وكان ينوف عن خمسة آلاف . وكان معه اثني عشر مدفعاً وكان يأمر باطلاقها كل ليلة وقت المشاء . فترجع منها البلاد . واخذ بعد ذلك يوزع الحوالات بطلب الاموال والذخائر وارسل المباشرين الى جميع دور المناصب واديرة الرهبان يفتشون على ودائع اولاد الامير يوسف والمشايخ النكدية . وحيثما وجدوا شيئاً من ذلك يضبطونه . وشاع الخبر ان الامير بشير يريد ان يتحول الى بلاد جبيل ولكن لم تعلم الناس من اية جهة يكون مروره . فكنت ترى اهل الساحل ينقلون امتعتهم الى الجبل خوفاً من مروره عليهم فيفعل المسكر كما فعل في مروره من البادية الى رأس المتن واهل الجبل ينقلون حوائجهم الى الساحل واهل الضيع الى المزارع واهل المزارع الى الضيع ولا احد يعلم كيف يتم الامر . وما زالوا كذلك مدة اقامته في الرأس وقلع المسكر اكثر اشجار الرأس وما يجاورها واشطه حطباً فضلاً عن الامتعة والمواشي .

وفي ذلك الوقت عقد بعض اهل المتن رأياً وعلوا على طرد الامير بشير من البلاد وتماهدوا مع بعضهم وكتبوا الى الامير حسين ابن الامير يوسف في جبيل واستدعوه اليهم فركب الامير حسين بمسكر من نواحي بلاد جبيل وجمع في مروره رجال كسروان وقاطع المتن . واقبل نحو المتن حتى وصل الى بعبداً فارسل علماً الى الامراء والطوائف الذين استدعوه . واستدعاهم الى الميادرة . نحوه لكي يهجموا معاً على عسكر الدولة . وكان قد اختلف غزيمهم بعد ارسالهم اليه فلم يحضر احد منهم . فرجع الامير حسين الى حيث اتى وتفرقت الرجال التي جمعها وازداد خوف الناس من الامير بشير .

وفي اتنا . ذلك توفي الشيخ قاسم جنبلاط في عكا فارسل احمد باشا الجزائر يطلب ابنه الشيخ بشير ان يحضر اليه . فلم يحضر على التزول الى عكا فاعتذر اليه . وارسل الجزائر الى الامير بشير وقائد المسكر الذي معه ان يتزلا من رأس المتن ويقبأ في حرش بيروت . فتزلا واقاما هناك . وبعد قليل من الايام ارسل الى قائد المسكر ومتسلم بيروت ان يقبض على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس ناصيف الذي كان متسلماً باب الامير بشير

ورسلوهم الى عكا . وكانوا يومئذ في المدينة . فقبض عليهم وارسلهم الى عكا في البحر . وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر آدار .

وفي صباح ذلك اليوم حدث في الحرش خصومة بين المغاربة والدالاتية . وكانت الارناؤط من غرض الدالاتية فانتصروا على المغاربة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى كادوا يفتروهم عن آخرهم . وعلى هذا المذوال تبددت المساكر وشاع الخبز في البلاد وهربت حوالات الامير بشير واستبشرت الناس بالفرج . وكانت اقامته في البلاد تلك النوبة مقدار اربعة اشهر . وفي وصوله الى عكا امر الجزار باليسق عليه وعلى اخيه الامير حسن والشيخ بشير جن بلاط وفارس ناصيف . وبقي حكم البلاد سائبا من غير حاكم مدة وجيزة الى ان عرض جرجس باز الى الجزار وطلب منه الخلة لمواليه اولاد الامير يوسف . فاجاب الجزار وانعم بالخلة عليهم . وقاموا من جيل الى ذر القمر وتقدمت لهم التهاني من جميع البلاد ووزعوا المال السلطاني مضاغفاً . وكان مزازوا لهم الشيخ بشير نكد والشيخ عبدالله القاضي وارسل جرجس باز الى الجزار مئة الف غرش وارسل اخاه عبد الواحد يقيم في عكا بئزلة رهن على دفع بقية المال الذي تمهد به . وكان قبل ان يقبض الوزير على الامير بشير واصحابه ارسل الامير بشير قبض على رجل مذنب من اهل ذرعون احدى ترمى المتن ومله الى منسلم بيروت فارس بقتنه . وبعد اخذ الامير بشير الى عكا اراد اهل القليل ان يأخذوا بثأره فقتل منهم اثنا عشر الى نواحي المدينة . فصادفوا رجلاً مسلماً فقتلوه وهربوا . وشاع الخبز في المدينة فخرجت الناس في طلبهم فلم يدركوهم فرجعوا الى المدينة وهم في حدة الغضب فقتلوا كل من كان فيها من اهل الجبل وكانوا مقدار مئة نفر اكثرهم نصارى . وكان القاتلون دروزاً .

وفي ١٢٠٩ (١٧٩٤) ارسل احمد باشا الجزار عسكرياً من رجال الدولة الى بعلبك يريد القبض على الامير جهجاه الحرفوش . وكان الامير جهجاه لا يزال على حذر من طوارق الايام كما مر . فلم يذلك قبل وصول المكر . وهرب فلم يدركوه . وكان قبل خروجه من بعلبك نادى في اهلها بالرحيل فرحل اكثرهم . وادرك المكر فارس مسلم فقتلوه وكان من خواص الامير جهجاه .

عبد الله باشا العظم

وفي سنة ١٢١٠ (١٧٩٥) عند رجوع احمد باشا الجزائر من الحج اتته الغزلة عن دمشق الشام وتولاها عبدالله باشا العظم وارسل خلعة ولاية بلاد بعلبك الى الامير جيهان الحرفوش فتولى على احسن سبيل . ويعد وصول الجزائر الى عكا انعم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلط واخرجهم من الجبل بعد ان كان لهم مقدار سنة في الاعتقال . وولى الامير بشير على حكم الجبل والبسه خلعة الولاية وارسل معه عسكرياً الى دير القمر . وكان جرجس باز في الدير مع مواليه اولاد الامير يوسف فتزحوا الى جبيل ومضت معهم المشايخ النكدية وبعض مناصب البلاد . وارتجت البلاد من دخول الامير بشير واضطربت خوفاً ورحل بعض اهلها وتوجه الامير بشير بالسكر في طلب اولاد الامير يوسف واصحابهم فاحتسروا في طرابلس وطلب الامير بشير من مسلم طرابلس ان لا يقبلهم عنده فلم يجبه الى ذلك ورجع السكر واقام في جبيل مع الامير حسن . وكان في رجوعه قد مر على بعض قرى واديرة فنبها . ورجع الامير بشير الى دير القمر وارسل ضبط املاك الامراء اولاد الامير يوسف وامر بقصاص كل من كان معهم وهدم منازل مشايخ النكدية في الدير اساً على اس . وكان ارباب الكلام في دولته الشيخ بشير جنبلط والشيخ جيهان الهاد والشيخ احمد القاضي والشيخ نجم العقيلي . فاتفقوا على قتل بني عبد الصمد من عين ماطور . وتلافوهم حتى استأمنوا . فقتلوا منهم سبعة انفار وقبضوا على جماعة منهم . وكان الوزير قد ابقى عنده على سبيل الرهينة زوجة الامير بشير وولديه الامير قاسم والامير خليل وابن اخيه الامير ابراهيم وزوجة الشيخ بشير جنبلط . وارسل الامير بشير يطلب دراهم من اهل البلاد يرضي الوزير ويطلق اولاده ومن معهم هناك وجمع مالاً جزيلاً وارسل الى الجزائر دفعة من المطلوب . فاطلقت له زوجته واحد ولديه وابتقى الاخرين تحت البقية . وما زال الامير بشير موزعاً الحوالات في البلاد يطلب المال لانه كان قد تمهد للجزائر بان يدفع له كل شهر خمسة وعشرين الف غرش وكان يطلب منه نفقة عسكر ومنافع لاصحابه وكان الطلب كثيراً متصلاً . وكان

المطلوب من اهل كسروان وهي اصغر المقاطعات خمسين الف غرش . وبعد الشفاعات والوسائل ترك لهم خمسة الاف واخذ البقية . وكان اكثر الطلب والظلم على النصارى لانه كان يراعي الدرور بعض المراعاة احتساباً منهم اي من قيامهم عليه .

وفي ذلك الوقت اتفق ان الامير منصور مراد حضر من المتين الى دير القمر لمواجهة الامير بشير . ولما اراد الانصراف منه الامير بشير وقيل انه رسم عليه بامر الجزائر وبلغ الخبر الى المتن فاحتسب اهلها من ذلك ثم ان الامير منصور صنع حيلة وهرب ليلاً مع نائبه ناصيف الحورس ماشين وتركوا جواديهما في الدير وصار فرح عظيم في جميع المتن وامر الامير منصور اهل المتين واهل بكنتنا ان يقيموا نسائهم واولادهم واتقاهم الى مكان آخر ولا يبقى منهم الا رجال الحرب . ففعلوا وارسل الامير بشير حوالية على الامير منصور يطلب جانب من المال . ورأى الامير منصور ان بني عمه لا ينهضون معه لقبول الحوالية واكرمهم وتوسط امره بعض المناصب واصلحوا بينه وبين الامير بشير . وصفا خاطره عليه .

الجزائر قلعة سانور

واما اولاد الامير يوسف فكانوا لم يزالوا في طرابلس . وكان الوزير في الجردة . فلما حضر طلبوا منه الاسعاف وجمروا الساكر بامدادد وعزموا على غزو الامير حسن والمكر الذي معه في جيبيل . وبلغ الخبر الى الامير بشير فارسل نجدة الى اخيه . وكذلك الجزائر ارسل نجدة في البحر ونهضوا جميعاً من جيبيل وخرجوا الى ملاقاته عسكر طرابلس فانهمز من غير قتال ورجع اولاد الامير يوسف نحو بلاد عكار . ورجع اكثر اصحابهم الى البلاد وطلبوا رضى الامير بشير . فغفا عنهم وطاب له الحكم في تلك الايام .

وفي هذه السنة لما زالت ولاية دمشق عن احمد باشا الجزائر رفع الحرب عن الشيخ يوسف الجزائر صاحب قلعة سانور التي بالقرب من جبل ذبلس . وهي قلعة عظيمة حصينة على جبل لا تسلك اليه الخيل الا على طريق واحد عسر . وكان الجزائر قد حاصرها مقدار سبع سنوات ولم يقدر عليها . وكان كل سنة يجدد الركة عليها مرتين وثلاثة ولم يظفر منها بطائل . وعزم في بعض تلك

السنين على بناء قلعة بازانها . فاحضر اهل الصناعة وشرعوا في البناء . فخرجت رجال الشيخ يوسف الجرار ليلاً وهجموا على السكر والعاملين معه في ذلك البناء . فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وهرب من سلم منهم فتبعوه الى ابعبد مكان وقتلوا من ادركوه ورجعوا فهدموا ما كان قد قام من البناء ، وعادوا الى القلعة . وفي نوبة اخرى امر الجرار ان يفتحوا خليجاً في الارض تحت القلعة فيهدمونها بالبارود . فاحتفروا سرباً تحت الارض ولم يقدر الشيخ يوسف ان يمتهم حتى قربوا من ارض القلعة . فاخرج اناساً يجلسون فوقهم ويضربون بالمطارق والحجارة على الارض في النهار والليل . وما سموا اولئك من تحتهم توهموا انهم صاروا تحت القلعة وان ذلك وقع حوافر الخيل واعمال الحدم فلم يتقدموا . ووضعوا هناك صناديق شتى من البارود ورتبوا حسب صناعتهم والقوا عليها النار فاشتعل البارود وزرع تلك الارض وحمل صخوراً عظيمة وقطعاً من ذلك الجبل . فوقعت على السكر فقتلت منه خلقاً كثيراً وطلب الباقون الفرار . فخرجت اليهم اصحاب الجرار وقتلوا من ادركوه منهم واغتصموا كل ما كان معهم من ذخائر واموال وآلات فتقروا بها وعادوا الى القلعة . فحضب الجرار على الحفارين وقتلهم جميعاً . وجدد الركبة على القلعة . وما زال ينفق الاموال ويهلك الماسكر ولا يظفر براده حتى زالت عنه ولاية دمشق وتولاها عبدالله باشا فقدم له الشيخ يوسف الجرار التقادم الفاخرة ودفع له الاموال السلطانية المتأداة . فارسل اليه خلمة الولاية على جبل نابلس . ولم يعد سبيل للجزار عليه .

وفي هذه السنة اتفقت امرأة من زحلة مع رجل على ان يقتل زوجها ويتزوج بها . فأتى الرجل ليلاً . وقام هو والمرأة على زوجها فقتلاه وحمله على دابة ومضى به الى بعض العوالب فالتقاها هناك ورجع . ليقال انه قتل في الغابة فلا يتهم بقتله . وكان اهل القليل ينكرون على قاتله انه يتردد على بيته ولا يحسبون الظن فيه . فلما فقدوا نسيهم سموا في طابه فلم يجده وسألوا المرأة فقالت لا ادري الى اين مضى ورأوها غير مبالية بامرهم فقبضوا عليها وعذبوها فانقرت بما كان . فارسل الامير مراد ابن الامير شديد الي اللسع فقتل الرجل والمرأة .

موقعة جيبيل

وفي سنة ١٢١١ (١٧٩٦) جدد برجس باز واولاد الامير يوسف ركة
ثانية على جيبيل واستنجد والي طرابلس ايضاً واستماث بمحمد بك الاسد صاحب
عكار وجمعوا عسكراً من معاملة طرابلس وعكار يتوف عن ثمة آلاف
محارب واقبلوا نحو مدينة جيبيل . فخرج الى لقائهم الامير حسن ومن معه من
عسكر الجزائر وكانوا قلائل . فارت بينهم الحرب . ولما اشتد القتال خان
محمد بك الاسد وتقهقر باصحابه الى الورا . فانكسر المكر جميعه وقتل هذا كثر
من ستين نفراً ورجعوا الى نواحي طرابلس . ورأى برجس باز ان لا سبل له الى
اخذ البلاد الا باهل البلاد فوقمت المراسلة بينه وبين امراء المتق وصار الاتفاق
على حضور الامراء الى ارض البقاع . فحضروا . وارسلوا يستغيثون بعبده باشا
والي دمشق . فارسل اليهم الملا اسماعيل بمكر من وجات الدلاية . وحضرت
الامراء الى زحلة . واخذ عسكر الدولة ينهب قرى المشايخ بني جنبلاط .
وكان الامير بشير ارسل يخبر الجزائر بذلك والقي النفير في البلاد فجمع
عسكراً راته عسكر من عند الجزائر . وساروا جميعاً الى قتال الملا اسماعيل .
فكسروه وقتلوا جماعة من رجاله . فرجع الى دمشق الشام وتبعه الامراء
باصحابهم الى هناك . وفي اثناء ذلك توسطت امراء المتق والشيخ عبده القاضي
والمشايخ النكرية واصلحوا بينهم وبين الامير بشير . فاستأمنوا وحضروا الى
دير القمر وواجهوا الامير وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقاموا في منازلهم الى
حين . فقدر بهم وقتلهم . وقيل انه وقع على كتابات منهم ضده . وكان
الذين قتلوا في السراي الشيخ بشير واخوته الشيخ واكد والشيخ سيد احمد
والشيخ قاسم والشيخ مراد . والذين قبضوا عليهم وقتلهم فيما بعد اولاد الشيخ
بشير الشيخ علي والشيخ جيهان والشيخ سعد الدين والشيخ كليب وابن الشيخ
واكد . وكان قتلهم عن يد المشايخ بني جنبلاط وبني الهاد . ولما قضوا عليهم
ارسلوا حالاً الى كل البلاد يطلبون من بقي منهم عازمين ان يحرقوا ذكروهم عن
وجه الارض . فلم يظفروا بهم وبقي منهم ستة عشر ذكراً رجلاً وصبياناً .
وكان اكبرهم الشيخ سلمان . فهربوا الى اراضي دمشق وانضموا الى اولاد

الامير يوسف واحتموا هناك . واقاموا مدة من الزمان فضاقت مسا في ايديهم ورأوا ان الفرج بعيد فراسلوا احمد باشا الجزائر وطلبوا منه الامان . فاجابهم بالرضى والقبول ودعاهم اليه . فحضروا جميعهم فاكروهم وطيب قلوبهم وقرض لهم نفقات كافية واقاموا عنده مستأمنين . وبعد حين من الدهر حضر منهم الناس الى صيدا ينتظرون ما يكون من تصاريح الايام . وكان الامير بشير قد ضبط املاكهم واملاك اولاد الامير يوسف ووزع بعضها على المشايخ الجبلية والمادية والبعض من بني عمه وكان قد تمهد للجزائر بمائة آلاف غرش مقطعة على ست عشرة سنة . فرأى ان محاصيل البلاد لا تفي بذلك فجمع من البلاد المال السلطاني طاقاً ونصف طاق وفي آخر السنة فرض شاشية على كل رجل ثلاثة غروش من الدرروز والتصارى خلا العقال والرهبان . فاوردت الناس لكن اهل القرى صاروا يحسبون انفسهم اقل عدداً مما هم . فاقام الطلب على كل مكان بحسب كثرة اهلهم وقتهم من غير اعتبار العدد على شرط التأجيل الى ست عشرة سنة . ودام ذلك الى ان فوات الاجل فجلسه مالا سلطانياً يستورد كل عام . ثم زاد عليه طاقاً فطاقاً حتى صار ستة اضعاف . وهو الى يومنا هذا كذلك . والعوذ بالله من الزيادة ايضاً .

وفي هذه السنة بعد غياب الشمس ساعتين ظهر في السماء شهاب من نار عظيم جداً مخالفاً لهيئة الشهب المتادة . فاضاء منه الوجود مقدار مدة صلاة الفاتحة . وكان منظرها هائلاً متجهاً من ناحية القبلة الى ناحية الشمال . وتقاتلت^(١) الناس منه . وكان ثمن كيل الخنطة في ايام البيادر من ستة غروش الى سبعة ثم تناقص فرجع الى الخنطة .

وفي هذه السنة اتى جراد من جهة القبلة وكان كثيراً جداً . فر بسواحل البحر وباض هناك ثم تولد . وكان عاماً من بلاد صفا الى طرابلس . ولما صار يزحف توجه نحو المشرق وامتد في كل البلاد وانتهى الى الجرد وبلاد البقاع وبعليك . واتلف غراساً واشجاراً لا تعد ولا تحصى . وعطل اعمال الناس لاشتغالهم بتحويله عن ارضهم . ولما نبتت اجنته وصار يطير اياه الله بطائر السمرم فنفاه وافناه . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وكان قبل ذلك لم يترك

(١) تقاتلت الناس . يقصد « تقاتمت » وخانت .

في جميع الاراضي التي مر بها نباتاً اخضر قط ، الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الصفا كان يجتمع عليه فيلوي الى الماء .

الافرنسيون في مصر

وفي سنة ١٢١٢ (١٧٩٧) اقبلت الساكر الفرناوية نحو الديار المصرية ففتحوها مدينة الاسكندرية ومصر القاهرة . واقبلوا نحو غزة ويافا وبلغوا عكا فحاصروها ومسك احمد باشا الجزائر طريق البحر فكان يضبط كل ما يجلبه من السفن واسر باخراج النصارى من الاساكن البحرية واستمد لحرب الافرنج استعداداً بليغاً وذاتت نصارى المدن تلك السنة البلاء الشديد .

وفي هذه السنة توفي الامير سيد احمد اخو الامير يوسف الشهاب في حدث بيروت . وكان الجزائر قد غضب على الامير بشير واراد ان يحلمه من الولاية وينصب مكانه اولاد الامير يوسف . فادسلوا يبشرون عمهم بذلك . ولما وصل المبشر الى دار الامير سيد احمد اراد ان يخرج لمواجهته ، وكان قد افقد بصره اخوه الامير يوسف كما مر . وكان في غرفته دون الباب مطبقة على ذراع فسقط منها ناغمي عليه ساعة . ورفعه الى مضجعه فمات بذلك . وفي غد ذلك اليوم توفي ابنه الامير يوسف في القرب الاعلى وكان مريضاً . وكان ذلك في شهر تشرين الثاني .

